أوراق من دفتر سجين

الورقة الثالثة :

(أماه ..
(ابكي لدين ما عليه بواكي)

إن أنسى .. فلن أنس ما حييت ، دموعك التي لم تجف أبدا منذ اعتقالي ..

وفي كل زيارة تذرفين المزيد على شبك الزيارة .. رغم ابتسامتي التي لا تغيب عند لقياك ..

أماه لا يخطر ببالك لحظة .. أن دموعك هينة علي أو ليست بعزيزة لدي .. كلا ..

فقد عرف البعيد والقريب حبي لك وبري بك ..

ولكن قد عرفّتك يا أماه مرارا أن دين الله أعز علينا .. وتوحيد الله أحب إلينا جميعا .. وهذا يا أماه هو عذري إن كنت سببا في المزيد من دموعك وأحزانك .. فاصبري .. فقد قلت لك مرارا وتكرارا ، أنني خلف هذه القضبان لأجل دعوة غالية .. هي دين الله وتوحيده ..

وكفى بهذا وسام فخار على جبينك يا أماه ..

أراك تقطعين الفيافي لأجل زيارتي بين الفينة والأخرى .. وعندما يطول انتظارك خلف أسوار السجن ، تسمعين ثرثرة النساء حول قضايا أبنائهن أو أزواجهن أو إخوانهن .. أكثرها يدور بين السرقة والاغتصاب والمخدرات ، والسلب والقتل وغيرها .. فتأملي كم هي حقيرة ساقطة تلك القضايا الدنيوية التي تزج بأهلها سنينا طوالا ، فتقطع الأرحام ، وتفرق بين الأحباب ، وتستجلب الفتن العظام .. لأجل دنيا فانية .. أو شهوة ساقطة زائلة ..

أما نحن يا أمـاه .. فقـد عرفتـك مـرارا بطبيعـة قضـيتنا وتهمتنـا ، تهمـة عـز ورفعة وفخار ، فـي زمـان جثـا فيـه أكـثر النـاس ، وتخـاذلوا عـن نصـرة الـدين ، وطأطؤوا الرؤوس لجلاديهم ، وقنعوا بعيش ذليل ، ورضـوا بصـمت يخلصـهم مـن تكاليف هذه الطريق .. فلا بد أن تشمخي وتفخـري بهـذه المنحـة الـتي اصـطفانا الله لها .. وتسأليه سبحانه الثبات والقبول وحسن الختام .. لقد أفهمتك أننا نعني ما نقول حين نسمي قضيتنا ب(لا إله إلا الله) .. إذ عندنا ما نقول على ذلك ..

وكثيرا ما تعمدنا أن نعلن ذلك أو نخطه على أبـواب مهجعنـا ، أو فـي أوراق السجن وبطاقاته .. لجعله مدخلا لدعوة من يستغرب هذه التهمة ويستهجنها مـن عساكر السجن وضباطه وغيرهم .. حين يبـادر بـالقول .. وهـل (لا إلـه إلا اللـه) تهمة ؟؟

كلنا نقول (لا اله إلا الله) .. كذا يزعمون ..

فنشرح لهم أن لهذه الكلمة العظيمة تكاليف ولوازم وشروط .. وأنها تحـوي أمورا عظيمة تثبتها وأخرى تنفيها .. وأن الشأن ليس في قولها .. بل فـي تحقيـق ذلك ..

ثم نبين لهم كيف أنهم يعملون ليل نهار على هـدم هـذه الكلمـة ومـا تحـويه من أركان عظام .. وكيف أنهم جند لأعدائها ، حرب عليهـا وعلـى أهلهـا وأوليائهـا فأنا ينفعهم مع ذلك التلفظ بها .. فهذه الكلمة العظيمة .. لها جنـد يجاهـدون مـن أجلها ، ويبذلون لها مهجهم وأعمارهم .. من أجلها يسجنون ، وفي سبيلها وسبيل تحقيقها وإقامة شرعها ، يبتلون ويعذبون .. ونحن نحتسب أنفسنا أن يجعلنـا اللـه منهم ..

كمـا أن لهـا أعـداءا وخصـوما ؛ ينصـرون مـا ناقضـها وعارضـها مـن شـرع الطاغوت ودين الكفار .. والحرب مذ خلق الله الخلق بين الطـائفتين مسـتعرة .. فهم فريقان يختصمون .. خصمان اختصموا في ربهم ..

فمنهـم مـن يطـأطئ رأسـه حيـن يسـمع هـذا ونحـوه .. ويعـترف بـالواقع المرير .. ثم يتعذر بالرزق والأولاد ونحوهـا مـن الأعـذار .. فننكـر عليهـم بإبطـال تلكم الأعذار .. التي يقارفون بسببها الشرك وينصرونه .. ألـم يحـذر اللـه تبـارك تعالى ويقول : ((**إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحـذروهم**)) ...؟

أولم يقل سبحانه وتعالى : ((**قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**)) .

ومنهم من تأخذه العزة بالإثم ويستكبر ويصر على باطله .. ولا عجب أن يضيق أعداء الله ذرعا بهذه الدعوة العظيمة ، التي تعريهم وتعري أربابهم الزائفين ..

فقد قال تعالى : ((**وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون**))

ولا عجب أن يغتاظوا إذا شرحنا لهم تهمتنا كذلك .. فقد قال تعالى : ((**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون**)) .

سلام عليك يا أماه ..

لقد شرحت لك كثيرا عن طبيعة هذه الطريق وأنها طريق الرسل وأتباعهم وحواريهم .. فعلام تكرار البكاء وذرف الدموع ..؟؟

لن أنس دموعك وأنت تودعينني في زيارتك لي في عيد الأضحى المبارك .. من خلف شبك الزيارة فلا تظني يا أمّ أني لابتسامتي الدائمة، لا أقدر أحزانك أو أستشعر أشجانك .. كلا فليس الأمر كذلك ..

بل أمنيتي أن تتناسي أمر سجني ، وأن توجه تلك الدموع والأحزان والأشجان لما هو أغلى وأسمى .. ويومها أخرجت لك قصيدتي التي مطلعها :

لا تبكني أماه وابك بلوعة ديناً جريحاً ما عليه بواكيا

ما كنت يوما رغم حبسي جاثيا فلأجل ربي أستطيب عذابيا

فالسجن خير من حياة مذلةٍ وأنا لربي قد نذرت حياتيا

والسجن ليس بحابسٍ لي دعـوتي والقيد ليـس بمطفـئ أنواريـا

أنا هـاهنا حر برغم سلاسـلي ورنينها يشـجي ربوع فؤاديـا

أنا هـاهنا حـر ودون قيودنـا شـعبٌ يُطأطئ للخيانة جاثيـا

إلى آخر الأبيات ..

تذكرت دموعك على شبك الزيارة .

وانا أراوغ في أسئلتي يمينا وشـمالا .. عـن والـدي تـارة وعـن شـجيراته .. وعن صغاري ومشاغباتهم وأحيد .. هنا وهناك .. كي أنسيك شجون الحبس . فـإذا ما حدت إلى الطاغوت أو بعض أذنابه ، عضضت على شفتيك وأشـرت ؛ أن كـف لا يسمعوك !!

أماه من أي شيء نخشى .. أو نحاذر .. ؟؟

أوما أخبرتك أننا قد أشبعناهم سماعا..؟

فلم يبقى ما لم يسمعوه فلله در ابتسامتك .. بين تلك الدموع ..

واسلمي لابنك المحب الأسير ... عاصم .

وهذه أبيات أهديها إليك ..

" أتعرفين جريمتي "

(من عتمة السجن بل من نور إيماني)[1] ومن فؤادي بل من نزف شرياني

أخـط دعوتي بدمي على ورق (أعددته في غد الأيام أكفاني)
أتعرفـين جريمتي يا أم أو تهمي تلك التي من أجلها زجوا بجثماني
ومزقوا جسدي من بعد ما يئسوا عن دحر دعوتي أو من نزع إيماني
لأنني عشـت لا أرضـى بطاغية ولا أذل لطـاغوت وخوان
لأنني لم أرتض صمـتا يخلصني من بطش جلادهم أو ظلم سجان
جريمتي أنني لا زلت أعلـنها براءتي من كفرهم جهرا بأوطاني
فلا تقولي أضعت العمـر في محن فإنها منح من فضـل رحـمن
ولا تقولي صغارك لست ترحمهم فالله يرحـمهم والله يـرعاني
فقـرّ عينا ولا تبكي على محني إني رضيت بعـيش العـز ديداني
(زنزانتي خير من صاحبت في زمن) الحاكمون به عبدوا كأوثان
وإن أودعها يوما وأهجرها فبندقيتي يا أم : الصـاحب الثاني

أبو محمد

سجن البلقاء – 1418هـ

موقعنا على الانترنت

منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info

حقوق النشر غير محفوظة

[1] مطلع هذه القصيدة مقتبس من أبيات لصديقنا في السجن الشاعر أيمن العتوم